الارض ، اي وجود في فكر الامبراطورية ، بل تتخذ الامبراطورية مكانها متربعة فوق كل (الدول) ، ويتخذ الامبراطور مكانه متربعـــــا فوق كل الملـوك ٠ والامبراطور هو الذي يمثل الفكرة المسيحية في عالم السياسة ، كما يمثل البابا هذه الفكرة ذاتها في عالم الدين والروح (١) وهو الامر الذي سهل الانفصام بين القومية الالمانية ، والتنظيم السياسي في المانيا ، كما سهل بقاء المانيا والامـة الالمانية مفتتة ومجزأة بين عدة دويلات ودول ، خاصة في ظل ضعف البورجوازية الالمانية التاريخي ٠

أما التجربة الثانية ، فقد كانت في بعض نواحيها مناقضة لهذه التجربـــة الاولى بظهور نوع من الدول في المانيا ، خرجت تاريخيا الى حيز الوجود بفضل عوامل مصطنعة مثل بروسيا ، التي عمل آل هوهونزلسون على تكوينها من اقاليم مختلفة دخلت في حوزة هذه الاسرة ، أما بطريق الارث او التزاوج، او كفتوحات بحد السيف ٠٠ الخ وتألفت منها مملكة بروسيـا ٠ ويرجـع الفضـل فيما بلغته بروسيا وقتئذ من يأس وقوة الى تنظيمها البيروقراطي في الحكم ، وجيشهـــا النظامي القوى ٠ وظل الجيش والبيروقراطية العنصرين الاساسيين في تشييـد صروحها ، وقد بلغ بها فردريك الثاني الاكبر (١٧٤٠ ــ ١٧٨٦) القمة بحكومته المستبدة المطلقة ٠ وبذلك خرجت الى الوجود امة بروسية اختلفت في تكوينهـــا تماما عن الامة الفرنسية والانجليزية ، وهما الامتان اللتان كان قد تم اكتمال تكوينهما ووجودهما بصورة من الصور قبل تأسيس الدولة ٠

وهكذا صارت بروسيا ــ فيما يتعلق بالقومية ــ مثالا لما يمكن ان تحدثه وتوجده الدولة بما تملك من قوة وقدرة انشائية ، حتى ان المرء في وسعه ان يقدر صنـع كل شيء للدولة بعد ان خلقت امة وشعبا من عناصر مبعثرة ٠ اصبحت الدولـة تتميز بذاتية خاصة بها ، وكيان يفيض بالحيوية والنشاط ، الامر الذي انتهـى بالفكر البورجوازي البروسي الى تقديس الدولة كما تتمثل بوجه الخصـوص في فلسفة هيجل ، الذي لم يفعل اكثر من ان ينقل هذه الحقيقة البروسية مـن ميدان الحوادث الواقعة الى عالم الفكر المجرد (٢) وقد كان لهذا المفهوم انصاره وانتشاره بين كافة طبقات الشعب ٠

الوجود الذهني للامـــة

وفي حين تعذر خروج المانيا الى حيز الوجود ، ولها كيانها السياسي والقومي المتجسد في دولة موحدة ، في اواخر القرن الثامن عشر ، كما حدث في فرنسـا وانجلترا من قبل ، فقد شهد هذا العصر بروز امة من ميدان الادب والفكر فـي المانيا ، بعدما اصابها من الشلل بسبب حروب الثلاثين (١٦١٨ ــ ١٦٤٨) في القرن السابع عشر ، فبعد انقضاء هذا العهد المضطرب، ومع ارتقاء البورجوازية